الفصل الأول
لماذا كُتب هذا الكتاب!؟

الرئيس الأمريكي «ولسن» شجع «مورجنثاو» على تأليف كتاب مناهض لألمانيا وتركيا؛ لإقناع الأمريكيين بضرورة الاستمرار في الحرب حتى النصر.

... ووفقًا إلى ما رمى إليه «مورجنثاو» منذ البداية، فإن قصته صممت كدعاية للحرب، أي كدعم لجهود حرب الحلفاء.

oberkandl.com

السيدة/ مورجنثاو (على اليمين)،زوجة السفير الأميركي في القسطنطينية، مع سيور جين (على اليسار)، رئيسة المستشفى الفرنسية

القسطنطينية من السفارة الأمريكية تظهر (في وسط الصورة)،والمباني في وزارة البحرية، على القرن الذهبي الشهير، وذلك خارج المدينة

إن أي تحليل لأصول «قصة السفير مورجنثاو» يجب أن يبدأ بدراسة الخطاب الذي أرسله السفير «مورجنثاو» في ٢٦ نوفمبر ١٩١٧ لصديقه وموضع ثقته- رئيس الولايات المتحدة وودرو ولسن-؛ لأن في هذا الخطاب الذي لم ينشر إلى الآن، يعرض «مورجنثاو» فكرة كتابة كتاب، وكذلك الأهداف التي دفعته إلى ذلك. وقد تضمن خطابه نداءً بطلبه مباركة الرئيس لهذا المشروع. وفي الحقيقة كان هدفه الوحيد يكمن في إثارة الرأي العام لمساندة المجهود الحربي للولايات المتحدة، وذلك عن طريق ممارسة عمل دعائي ضد ألمانيا وضد تركيا يرمي إلى «تحقيق النصر لسياسة الحرب الحكومية»، وليس غريبًا حصول «مورجنثاو» على مباركة الرئيس، فقد عبّر كتابةً عن مشروعه لولسون بالعبارات التالية:

«.. لقد وهن عزمي من قوة المعارضة المعلنة، ومن فداحة اللامبالاة حيال الحرب، وكذلك من غياب الحماس لدى هؤلاء الذين يساندون الحرب.

.. أفكر في كتابة كتاب؛ حيث أكشف- ليس فقط تدخل ألمانيا في تركيا وفي البلقان- ولكن هذا النظام كله وكما يبدو في كل بلد في العالم، ففي تركيا تظهر الروح التشاؤمية لألمانيا في أسوأ صورها، حيث أدت إلى أبشع جريمة عرفها التاريخ، ألا وهي مذبحة الأرمن والسوريين. إن هذا الموضوع خاصة وتآمر ألمانيا سيؤثر حتمًا في الجماهير الأمريكية في المدن الصغيرة وفي المناطق الريفية للبلاد، كما لا تستطيع أن تفعله أي ظاهرة أخرى للحرب وسوف تقنعهم بضرورة الاستمرار في الحرب حتى النصر.

يجب علينا الانتصار لسياسة الحرب الحكومية وذلك بأن نأخذ في الاعتبار كل إجراء وكل وسيلة شرعية للوصول لذلك»[١].

(١) أهم مجموعة عامة من المستندات عن حياة وعمل السفير هنري مورجنثاو (١٨٥٦ - ١٩٤٦) موجودة بمكتبة الكونجرس بواشنطن في قسم المخطوطات تحت عنوان «أوراق هنري مورجنثاو» قرابة ٣٠٠٠٠ مقالة تحت تصرف الباحثين في شكل مجموعة من ٤١ بكرة ميكروفيلم. في هذه الدراسة، سنرمز إلى هذه المجموعة بالرمز التالي LC : PHM. متبوعة بتاريخ.
بالنسبة لهذا المستند، الرمز هو LC: PHM. Bobine رسالة هنري مورجنثاو إلى الرئيس وودرو ولسن، ٢٦ نوفمبر ١٩١٧.

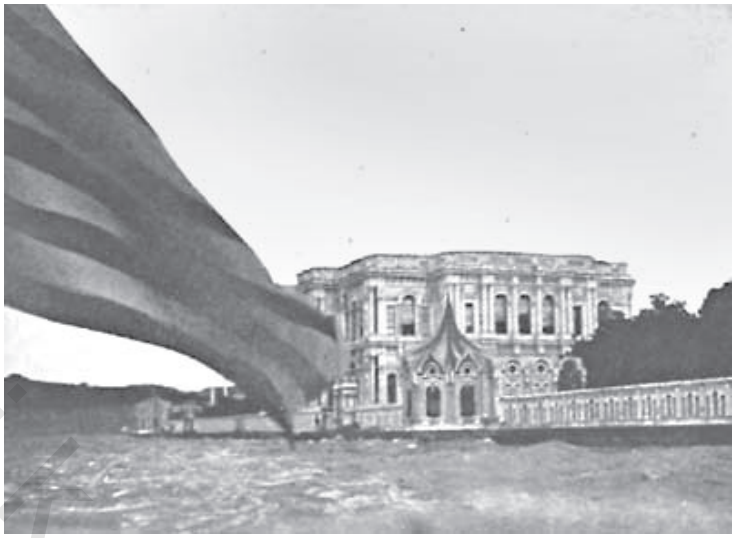

قصر بيلربي على مضيق البوسفور؛ حيث إقامة السلطان عبد الحميد بعد خلعه الوقت حتى وفاته مؤخرًا

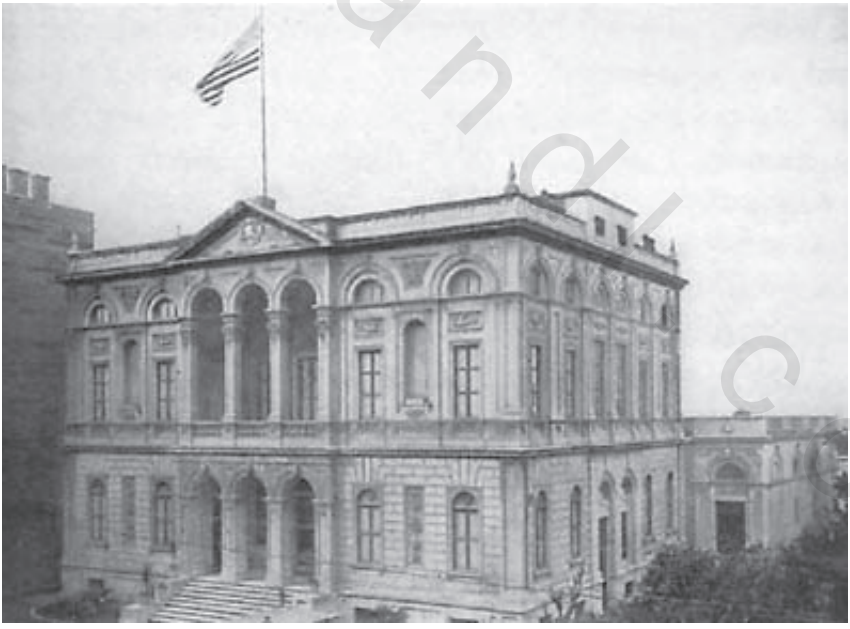

السفارة الأمريكية في القسطنطينية؛ حيث أجرى السفير الأميركي مورجنثاو الشؤون الدبلوماسية من خريف ١٩١٣ إلى ربيع عام ١٩١٦. والمسئول عن شؤون تسع دول أخرى أثناء الحرب.

obeikandl.com

هذا ما قاله مورجنثاو..

تهدف هذه الدراسة في أبسط صورها إلى تحديد إذا ما كانت «قصة السفير هنري مورجنثاو» وفيّة لمنهج مؤلفها، أي استخدام «كل وسيلة شرعية» لبلوغ الهدف المحدد ألا وهو إقناع «الجماهير الأمريكية» بمساندة الحرب.

بعد أقل من عام من تاريخ رسالة مورجنثاو إلى ولسون، تم نشر الكتاب على شكل حلقات شهرية في أشهر مجلات الولايات المتحدة The World's Work (مئة وعشرين ألف نسخة)[١].

تم إعادة نشر هذه الحلقات في أكثر من اثنتي عشرة من كُبريات صحف البلد التي يصل عدد نسخها الإجمالي إلى ٢٦٣٠٢٥٦ نسخة[٢].

---

(١) كانت The World's Work مجلة شهرية يمتلكها عندئذ «دبل داي، باج وشركائهم» الناشرون بنيويورك، وقد بدأت المجلة في شهر أبريل ١٩١٨ بنشر مقالة «بورتن ج. هينريك» عنوانها: «قصة السفير مورجنثاو.. مقالة تمهيدية»، ثم قامت المجلة بين شهري مايو ونوفمبر بنشر سبع ملازم لمقتطفات من كتاب مورجنثاو، ويرجع الفضل في زيادة بيع أعداد المجلة The World's Work للأستاذ روبيرج روسناك من جامعة روزاري بولاية ألينوي الذي كرّس رسالته للدكتوراه لدراسة هذه الجريدة وأثرها.

(٢) ثاني أكبر مجموعة من مستندات مورجنثاو توجد في المكتبة الرئاسية فرانكلين ديلانو روزفلت بهايد بارك بنيويورك، حيث يشكل جزءًا من المجموعة المعنونة «مستندات مورجنثاو الابن» الابن الوحيد للسفير مورجنثاو والعضو لعدة سنوات في حكومة فرانكلين روزفلت.

هذه المجموع مقسمة إلى إحدى عشرة جزءًا يحتوي الجزءان ٨ ، ١٠ منها على مستندات متعلقة بالسفير مورجنثاو ، وخاصة الجزء رقم ٨ (ملف جاير) وهي عبارة عن مجموعة من المراجع جمعها جوزيف جاير معاون مورجنثاو الابن، عن سيرته الذاتية غير المنشورة. في هذا الجزء توجد نسخة مكتوبة على الآلة الكاتبة لكل المراسلات بين السفير مورجنثاو وابنه، ومستندات هذه الأجزاء الواردة في هذه الدراسة تستظهر بالرمز التالي: FD: HMJ/ Gaer Boite no .

الجزء رقم ١٠ المعنون «مستندات هنري مورجنثاو الأب» مكوَّن أساسًا من خطابات أعمال ومراسلات شخصية، وقد ذكرت في هذه الدراسة مراجع هذه المجموعة بالرمز FD: HMs/ Gaer Boite no.

أعداد مبيعات الصحف التي نشرت كتاب السفير مورجنثاو توجد في رسالة من فرانك دبل داي من دار نشر دبل داي باج وشركائهم لناشر مورجنثاو إلى هنري مورجنثاو الأب بتاريخ ١٧ أكتوبر ١٩١٨ (FDR: HMS/ Boite no 12) في الأصل كانت قائمة بالصحف التي نشرت هذه المقتطفات مرفقة بالرسالة إلا أن هذه القائمة للأسف فقدت أو فصلت عن الرسالة.

حيث إنني عملت في مكتبات ودور محفوظات العديد من البلاد فلن أكون وفيًّا إذا لم أعبر عن امتناني واعتزازي بالجميل لجميع العاملين بمكتبة روزفلت الذين جعلوا من إقامتي القصيرة في هايد بارك متعة عظيمة، وقد استفادت أبحاثي بصفة خاصة من المساهمة الكريمة للسيدة سوازان والتر أمينة محفوظات الوسائل السمعية والبصرية.

obeikandl.com

السيد مورجنثاو يقف على شرفة السفارة الأمريكية في القسطنطينية. الصبيان هما حفيداه: هنري ومورتيمر. الفتاتان هما ابنتا السفير السويدي في تركيا

طلعت باشا الصدر الأعظم لتركيا في عام ١٩١٤، عندما اندلعت الحرب كان طلعت وزير الداخلية والزعيم الأكثر نفوذًا في لجنة الاتحاد والترقي، والتنظيم السري الذي يسيطر على الإمبراطورية التركية. وقبل بضع سنوات كان طلعت ناقل خطابات، وبعد ذلك عامل التلغراف في أدرنه. مواهبه هي تلك التي بوأته مناصبه السياسية الكبيرة. إنه يمثل تركيا في مفاوضات السلام مع روسياً وتوقيعه يظهر في بريست ليتوفسك

الكتاب نفسه تم نشره بصخب كبير بمعرفة دبل داي، باج وشركائهم[١]، وحقق في هذا التاريخ مبيعات وصلت إلى عدة آلاف من النسخ (في أول يوليو من العام التالي وصلت المبيعات إلى ٢٣٤ , ٢٢ نسخة) [٢].

إجمالًا إن هدف «مورجنثاو» بالإسهام في مجهودات حرب الولايات المتحدة بكتابة كتاب يمكن وفقًا لقوله: «أن يؤثر على الجماهير الأمريكية في المدن الصغيرة ومناطق البلاد الريفية أكثر مما يمكن أن يفعله أي مظهر آخر من مظاهر الحرب»[٣].

هدف قد تحقق بصورة تفوق كل آماله بالفعل، بمجرد أن بدأت The World's Work نشر حلقات الفصول الأولى من كتابه في مايو ١٩١٨،

---

(١) FDR: HMS/ Boire no 12 (خطاب بتاريخ ١٧ أكتوبر من دابل داي إلى مورجنثاو يوضح أن الناشر وضع لوحات عرض لدى ما سي وبرنتانو ونا ميكي وسكرينبز وغيرهم، علاوة على إرساله- مقدمًا- نسخًا للخدمة الصحفية والكثير من النشرات الإعلانية.

(٢) ثالث أكبر مجموعة معلومات مستخدمة في هذه الدراسة هي المستندات الشخصية لبورتن ج. هندريك، وهو كاتب صحفي مميز، كان هندريك بالفعل «مساعدًا أدبيًا» لمورجنثاو، وقد وجدت اعتبارًا من إعلان وفاته في نيويورك تايمز (٢٥ مارس ١٩٤٩) آثارًا لحفيده المدعو هو بارت هندريك الابن من مدينة هامدن (هامدن) بولاية كونكتيكان، الذي أجاب بكرم على كافة أسئلتي، كما عرفني على ابنة خالته مارتا روسناك من مدينة ونفيلد بولاية الينوي- زوجة روبين روسناك أستاذ التاريخ بجامعة روزاري الذي قام بأبحاث عن جد زوجته، وقد تفضل الأستاذ روسناك بإعطائي نسخًا من العديد من المستندات، «مستندات بورتن ج. هندريك التي في حوزتهم»، هذه المستندات تحتوي على رسائل بين مورجنثاو وهندريك وخاصة على دراسة غير منشورة لروسناك عن هندريك عنوانها:

«To cast them in the heoic Mold: Court Biographers- The Case of Burton Jesse Hendrick».

وقد أخبرني الأستاذ روسناك أن هندريك ساهم في مشروع تاريخ شفهي «بجامعة كولومبيا، وتحاور مع آلان نيفنس قبل موته في ١٩٤٩.

المعلومات الواردة في هذه الدراسة عن مستندات هندريك والمقدمة من الأستاذ روسناك ستندرج تحت الرمز Hendrick / Rusnak عنوانه: « حساب الربح والخسارة حتى أول يوليو ١٩١٩ عن «قصة السفير مورجنثاو»، تأليف هنري مورجنثاو، هذا المستند الذي يحتمل أن يكون هنري مورجنثاو قد كتبه بنفسه يعطينا المجموع الكلي للمبيعات في هذا التاريخ أي ٢٢٢٣٤ نسخة.

(٣) LC: PHM. Bobrine no 8 خطاب هنري مورجنثاو إلى الرئيس ولسن بتاريخ ٢٦ نوفمبر ١٩١٧.

المشاة والفرسان التركية. في كانون الثاني/ يناير ١٩١٤، كان الجيش التركي الرث قوة غير منضبطة. هذه القوات، تم العناية بها من قبل المدربين العسكريين الألمان، وتبين الصورة نتيجة ستة أشهر من التدريب

البستاني أفندي وزير سابق للتجارة والزراعة في الحكومة التركية. إنه جاء إلى السيد مورجنثاو في كانون الثاني/ يناير ١٩١٤، في التماس المساعدة الأمريكية في تأهيل تركيا ماليًّا

تلقى «مورجنثاو» عرضًا من هوليود لحقوقه في إنتاج فيلم عن «قصته»، هذا العرض كان مصحوبًا بوعد بـ ٢٥ ألف دولارًا لصالحه.

بعد تحمس مبدئي وكتابة سيناريو أوَّلي للفيلم [١] هبط حماس مورجنثاو، الذي كان على عتبة مهنة سينماتوغرافية، عند تلقي خطاب ثانٍ من الرئيس «ولسن» عبّر فيه عن رفضه التام بالعبارات التالية:

« أقدر لك استشارتك لي في مسألة معرفة إذا ما يمكن إنتاج الكتاب سينمائيًّا، وأقول لك بوضوح إني آمل ألا تفعل شيئًا بهذا الصدد. أعتقد شخصيًّا أننا ذهبنا بعيدًا جدًّا في هذا الاتجاه، إنها ليست فقط مسألة ذوق، لا أود- إطلاقًا- أن أستسلم لذوقي في مثل هذه المسألة، ولكنها مسألة مبدأ.. ليس هناك أية منفعة يمكن أن تقوم بها الآن خاصة بمذبحة الأرمن مثلًا، لاسيما وموقف البلد نحو تركيا قد تحدد، وليس هناك أي داع لتقويتها أكثر من ذلك[٢].

في أقل من عام سابق كانت موافقة «ولسن» التي طلبها مورجنثاو ليبدأ مشروعه- وفي الواقع لم يبدأ المشروع إلا بعد أن وافق ولسن- وكتب بذلك: «أرى أن خططك لكشف بعض مظاهر التآمر الألماني بالكامل ممتازة، وآمل أن تبدأ في كتابة ونشر كتاب يتحدث عنها» [٣].

---

(١) Hendrick/Rusnak : من بين المعلومات المقدمة من روبين روسناك والمتعلقة بتعاون مورجنثاو وهندريك توجد ٨ صفحات من مستند عنوانه:

«Proposal for Moving Picture on the : Near East Basecl to a considerable extern out on Ambassador Morgenthau's Story».

في أعلى هذا المستند توجد الملاحظة التالية مكتوبة بخط اليد: «هذا المشروع الكبير الذي من أجله منحنا رجال السينما ٢٥٠٠٠ دولارًا قد توقف بسبب النهاية المفاجئة للحرب! بورتن جسي هندريك.

(٢) LC: PHM. Bobrine no 8 خطاب الرئيس ولسن إلى هنري مورجنثاو بتاريخ ١٤ يونيو ١٩١٨.

(٣) LC: PHM. Bobrine no 8 خطاب ٢٧ نوفمبر من الرئيس وودرو ولسن إلى هنري مورجنثاو: «أمر غريب بينما خطاب مورجنثاو إلى ولسن بتاريخ ٢٦ نوفمبر ١٩١٧ لم ينشر أبدًا، أدرج مورجنثاو رد الرئيس في سيرته الذاتية ١٩٢٢ « Allig life time» نيويورك دابل داي وباج وشركائهم، ١٩٢٢ صفحة ٢٩٧، حيث يذكرها كسبب كتابته لهذا الكتاب.

عندئذ استجاب «مورجنثاو» للمساعي الأولى لكل من بورتن ج. هندريك ودبل داي وباج وشركائهم الذين يملكون World Work[١]، وبدأ المشروع يتخذ شكلًا عمليًّا.

يبدو إلى حدٍّ ما مدهشًا أن يتبادل رئيس للولايات المتحدة الأمريكية الرسائل مع سفير سابق في موضوع من هذا النوع، إلا أنه كان زمن حرب، وكما أوضحته منذ البداية فإن رسائل مورجنثاو/ ولسن شكلت «قصة السفير مورجنثاو» كجزء مكمل لرواية الرئيس ولسن، كان هناك رغبة في زيادة دعم جهود حرب، ولسن الذي شجع مورجنثاو على تأليف كتاب مناهض لألمانيا وتركيا؛ لإقناع الأمريكيين بضرورة الاستمرار في الحرب حتى النصر»[٢].

بعبارة أخرى، ووفقًا إلى ما رمى إليه مورجنثاو منذ البداية، فإن قصته صممت كدعاية للحرب، أي كدعم لجهود حرب التحالف (الحلفاء)، وإننا في مواجهة هذه الفكرة سنحاول معرفة كيف ومن كتب- حقيقة- هذا الكتاب، مع توضيح المشكلة الأكثر أهمية عن مدى مصداقية الرواية التي يؤكد سردها.

---

(١) FOR: HMS- Bobrine no 11 خطاب بتاريخ ٧ نوفمبر ١٩١٧ من فرانك دابل داي وباج حيث يعلن مورجنثاو بأن السيد هندريك قد طلب مني ذلك، فقد قمت مرة ثانية بدراسة متأنية لإمكان كتابة كتاب عن تجاربي في تركيا، وقد قررت بصفة نهائية أن الوقت لم يحن بعد لنشره، إلا أنه لخيبة أمله في عدم وجود نداء شعبي لصالح الحرب، طلب بعد أسبوعين من تاريخ مباركة الرئيس لنشر الكتاب، وبمجرد تسليم خطابات فرنك دبل داي إلى هنري مورجنثاو بتاريخ ٢٣ نوفمبر و٥ ديسمبر ١٩١٧، وكذلك خطابات أركوبا إلى هنري مورجنثاو بتاريخ ٨ و٢٠ ديسمبر ١٩١٧ بعد هذا الخطاب الأخير، كانت كافة الاتفاقات على العقد كاملة.

(٢) LC: PHiy- Bobrine no 8 خطاب هنري مورجنثاو إلى الرئيس وودرو ولسن بتاريخ ٢٦ نوفمبر.